الكتابات اللسانية العربية المعاصرة
رؤية نقدية

ملخص

تستهدف مادة هذا البحث النظر في الكتابات اللسانية العربية الحديثة من خلال عملية توصيف لهذه الكتابات ، وتصنيف محاورها، والوقوف على مداخل سياقاتها المعرفية، والرؤى التي صدر عنها أصحابها عند وضع هذه الكتابات، قصد اختبار قيمة هذا التراكم المعرفي في ضوء التطور الذي وصل إليه الدرس اللساني، ومثل هذا التقييم ، لم يكن متوفرا لدى اللساني العربي وقت بداية تعرّفه اللسانيات الحديثة.

أ.عيسى مومني
كلية الآداب واللغات
جامعة قسنطينة 1
الجزائر

مقدمة

تأتي هذه الدراسة قصد تثمين كتابات في اللسانيات العربية ، وإرساء مدخل في أصول هذا العلم ومسالك معرفته ، وإيضاح معاليم معادلة لا تقاس إلا بمدى انجلاء الدلالات في الأذهان.

وهذا التقييم قد يكون طريقاً لفهم المداخل، ورسم المعالم الكبرى، وإجابة عن الأسئلة التي تزدحم بها المدرجات، وتزداد حدّة في زمن العولمة، وثورة المعلومات.ولقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن يجيء في قسمين أولهما نظري يتناول عملية توصيف لهذه الكتابات ووضعها في إطارها المحوري .وثانيهما عملي يستبطن المحتويات ليستخلص منها الرؤى التي صدر عنها المؤلفون عند وضع هذه الكتابات، والأبعاد،والتصورات للإجابة

Abstract

This study explores modern Arabic linguistic writings in order to classify their topics and contextual entries. The study relies on the accumulation of knowledge that was not within the reach of the Arab linguists at the beginning of modern linguistics, and attempts to set forth knowledge framework for modern linguistics teaching.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2014.

عن الأسئلة الآتية:هل ما أصبح يسمى اليوم لسانيات هو علم جديد يباين ما سبقه من دراسات قديمة، ومن ضمنها الدرس اللغوي العربي أم أن التراكم المعرفي أفرز نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية، وبقي أن نقول إن المشكل مشكل تسميات فقط؟.

وهل إن علمية اللغة في اللسانيات تقدّم قراءات في حقل واسع أم أن المقصود بالعلمية جانب الدقة القائم على الصرامة الشديدة التي قد تغيب في العلوم البحتة وتعيد للأذهان مقولة "نيوتن"، وهو أن الفيزياء المادية أو الميكانيكية الخالصة مستحيلة.وهل أن هذه الكتابات استطاعت أن تُجلي الدّلالات في ذهن القارئ ، وتفكك الخبايا المتنكرة وراء ستار الموضوعيّة العلمية، والدراسة الأكاديمية أم أن غلبة هذه الخبايا لا زال سائدا؟.

أولا ـ إرهاصات الدرس اللساني في العالم العربي :

إن ما يجب تحديده في البداية هو أن المسلك التقويمي لم ينضج لدى اللساني العربي وقت بداية تعرفه اللسانيات الحديثة، وهذا شأن كل أمر جديد ، ربّما لأن الدراسات الأولى لم تصدر من قبل لغويين، أو قل أصحاب اختصاص؛ إذ أنه "ليس من يؤرخ للعبة لا يحسنها كالذي يؤرخ لها وهو أحد المتمتعين بالخوض فيها" [1].

يضاف إلى هذا شبه الانبهار الذي حصل للدارسين العرب في تلك الفترة أمام اتساق الدرس اللساني الغربي على نحو مثير مع معطيات الفلسفة الوصفية السائدة في الثقافة الغربية كلية، فأحدث شرخا بين الدارسين ، وكاد يتحوّل إلى مانع لقيام حوار محلي يعطّل الإقلاع الحضاري ، مما جعل اللساني العربي محمود السعران يتجاوز علماء عصره إلى القارئ مباشرة في كتابه ، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي.

ثانيا ـ المؤشرات الأولية للقراءة:

تنطلق هذه القراءة من عناوين لمجموعة كتب في اللسانيات ، وخطاب مقدّماتها، واختيارها بُني على أنها قريبة التناول من الطالب، ومنها يستقي معلوماته.

وإذا كانت "القراءة احتضان للمعنى،وطوفٌ في ظلاله"[2]. فقد أوليت أهمية للعنوان، والمقدّمة" في كونهما أول المؤشرات التي تتحاور مع المتلقي" [3].

واسترسلت في عرض المضمون كي تتخطى الدراسة مرحلة الأطر النظرية إلى مستوى الممارسة ، والتطبيق، والتحليل، والتقييم، ومراعاة حمل اللفظ على أشراط عصره.

ثالثا- الكتابات اللسانية بين: القراءة التوصيفية، والقراءة الاستبطانية.

1 ـ القراءة التوصيفية:

إن العنوان في مثل هذه الكتابات يحيل على اللسانيات بطريقة عامة، كما يحيل على مدرسة لسانية محدّدة:المدرسة الوظيفية، أو المدرسة التوليدية التحويلية، أو الإحالة على قطاع خاص من قطاعات اللسانيات: علم الأصوات، علم التراكيب، علم الدلالة، أو التعريف بإسهامات علَم من الأعلام، وكيفية تناولها لقضايا اللغة العربية في مجال من مجالات البحث ، على شاكلة ما فعل عبد الرحمان صالح في المدرسة الخليلية،ومحمد عبد المطلب في قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، وسعيد النعيمي في كتابه: ابن جني عالم العربية.أو الإحالة على الأوصاف والنعوت التياكتسبها الدرس اللساني خلال تطوره كأن نقول: اللسانيات والتراث لإبراز مظاهر المعاصرة في التراث اللغوي العربي، ولسانيات النص لإبراز التطور المعرفي لعلم اللغة، واللسانيات الحاسوبية لإبراز التقاطع المعرفي للغة العربية مع علوم أخرى، ويتضح هذا كالآتي:

أ) ـ اللسانيات التمهيدية:

إذا تأملت كتابات هذا المحور كما يتضح من العناوين الآتية:

1ـ مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي.

2ـ قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، مدخل..

3ـ مقدّمة في اللسانيات، عاطف فضل محمد .

4 ـ توطئة لدراسة علم اللغة، التعاريف، التوهامي الراجي.

5 ـ مبادئ في اللسانيات ، خولة طالب الإبراهيمي.

6 ـ اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي. .

7 ـ مدخل إلى علم اللغة ، محمود فهمي حجازي.

وجدتَ أن العنوان يقرّب المسافة بين القارئ وهذه الكتب، ويمده بالمفاتيح التي تمكنه من الوقوف على مبادئها([4])، وكلمة: مقدّمة، توطئة، أسسها، مدخل ، توحي بذلك، وتلتزم بالجانب التبسيطي في تقريب اللسانيات من القارئ العربي.

وفي خطاب المقدِّمات يحاول المؤلف أن يتواصل مع القارئ ليهيئه لاستقبال مشروع قيد الإنجاز يحفزه للاستمرار في مواصلة القراءة.

وهذا ما تلخصه هذه الكتب في خطاب مقدّماتها على شاكلة ما نقرأ في هذه الفقرات الآتية:

هذا الكتاب يرمي إلى "تقديم المفاهيم اللسانية الأساسية التي يحتاج إليها المبتدئون في اللسانيات" [(5)].

ـ "يقدّم للطالب الجامعي ما يحتاجه من إدراك عام حول قضايا علم اللغة الحديث

بإيجاز" [6].

ـ إنه "توطئة تساعد القاري على معرفة اللغة" [7].

ـ إنه"تبصرة بواقع البحث اللساني في الوطن العربي"[8].

ـ "لقد حاولت تبسيط هذا العلم ما وسعني التبسيط" [9].ـ

ـ "كانت مخرجا من الحائط المسدود الذي وقفت عنده دراسات النحو والصرف واللغة منذ زمن بعيد"[10].

ب) ـ اللسانيات والتراث:

تهدف كتب هذا المحور إلى التأكيد "على أهمية إعادة قراءة التراث بآليات بحث لساني حديثة بشكل يثري اللسانيات العامة، ويطوّر المعرفة اللغوية التقليدية"[11] قصد إبراز قيمة التراث العربي وإعطائه المكانة التي يستحقها ضمن الفكر اللساني الحديث، وهذا ما تشي به العناوين الآتية:

1ـ منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين.

2 ـ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش.

3 ـ البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب.

4 ـ أسئلة اللغة اسئلة اللسانيات، حافظ إسماعيلي علوي/ وليد أحمد العناتي.

5 ـ بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح.

6 ـ قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب.

7 ـ لغة القرآن الكريم ، دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة ، محمد خان.

8ـ التفكير اللساني في الحضارة العربية عبد السلام المسدي..

وما يستخلص من عناوين هذه الكتب أنها " تَحْمِل خلفية ثقافية ؛ تتمثل في المزج بين التراث واللسانيات المعاصرة" [12]. وخطابات مقدّماتها تبيّن "أن النص التراثي مشدود إلى القراءة فكان النص ميراث غائب في الزمن حاضر فينا بالهوية" [13].

وهذا ما تنضح به مقدّمة كتاب البلاغة والأسلوبية، فقد عدّ صاحب هذا الكتاب أن عمله قراءة للبلاغة العربية قراءة جديدة [14]. ونطق به خطاب مقدّمة كتاب لغة

القرآن ، دراسة تطبيقية للجملة في سورة البقرة ؛ فهو بحث في النحو حسب ما دعا إليه الجرجاني، ونادى به بعض المعاصرين " [15].

وجاءت كتابات عبد الرحمن الحاج صالح عن المدرسة الخليلية " لتقويم النظرية اللغوية العربية التي كانت أساساً لأغلب ما يقوله سيبويه وشيوخه، ولا سيما الخليل، وكيفية مواصلة هذه الجهود الأصيلة في الوقت الراهن"[16].

وهكذا تبقى قراءة النص التراثي في العصر الحديث " حداثة حاضرة معنا بضرورة الزمن"[17].

ج) ـ لسانيات النص وتحليل الخطاب:

تندرج الكتابات في هذا المحور في مجالات تحليل الخطاب، ولسانيات الخِطاب، ونحو النص، وعلم النص. وهذا ما تشي به العناوين، ويبرز من خطاب المقدمات على شاكلة ما نقرأ في العناوين الآتية:

1- في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم خليل .

2- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي .

3 ـ لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي. .

4 ـ اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، رابح بوحوش.

5 ـ خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فراس الحمداني، دراسة صوتية تركيبية.

6 ـ دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي، بشير إبرير..

وترجع أهمية هذا النمط من الأبحاث إلى عرض الوسائل التي يمكن من خلالها إدراك دلالة النص الكاملة لا الجملة المفردة [18]. وهذا يفضي بالقارئ إلى درجة عليا من التغلغل الواعي المستقل في كيان النص [19].

ومن المفاهيم التي تشيع في هذه الكتابات ؛ مفهوم اتساق النص، وانسجام النص، أو المفاهيم المرتبطة بهما كالترابط، والتعالق وماشاكلهما[20].

والكتابات في هذا المحور تكشف أن "تحليل الخطاب نموذج لتضافر لاختصاصات، وبنية لغوية لا يمكن فهمها إلا بمعرفة عناصرها"(21). و إن النظرة الكلية الشمولية تقوم على عدم إغفال بنية النص، والظروف المحيطة، والمقام في

الدرس العربي(22). كما كشفت أيضا "أن الحضارة العربية تأسست على النص، وأن النص صيغ بلسان العرب، وإن العربية اكتسبت بذاك الصوغ فضلاً خاصا"[23].لهذا تقول خولة طالب الإبراهيمي : "إن الاتجاه إلى النص هو التحوّل الأساسي الذي حدث في اللسانيات في السنوات الأخيرة أخرجها نهائياً من مأزق الدراسات البنوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية البنوي، والدلالي، والتداولي"[24].

د) ـ اللسانيات التوليدية التحويلية:

وتهدف كتابات هذا المحور إلى محاولة لصياغة التحليلات التقطيعية صياغة رياضية، ونمذجة الاستعمال الإنساني للغة، والاهتمام بالصفات العامة المشتركة في اللغات بدلا من التأكيد على الفروق بين اللغات كما تفعل المدرسة البنوية .

ويشيع من المصطلحات في بيبليوغرافيا هذا المحور، كما نقرأ في كتاب : الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد العربية (الجملة البسيطة)، ميشال زكريا: الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي، والقواعد، و الجملة الأصولية، والقواعد التوليدية التحويلية. ومادام بإمكان المتكلم أن يدلي بأحكام حول مجموعة من الكلمات المتلاحقة من حيث أنها تؤلّف جملة صحيحة، أو جملة غير صحيحة في لغته، فهو يُسمي الجملة الصحيحة بالجملة الأصولية، أي الجملة الموافقة للأصول اللغوية، والجملة غير الصحيحة بالجملة غير الأصولية. والقواعد التوليدية التحويلية هي القواعد التي ينجم عنها عند اتباعها جمل أصولية[25].

هـ)ـ اللسانيات الوظيفية:

قدّمت كتب اللسانيات العربية في هذا المحور الأُسس النظرية، والمنهجية للمنحى الوظيفي في اللسانيات المعاصرة، وخصائص المكونات المسندة إليها الوظائف التداولية: المبتدأ، والذيل، والبؤرة، والمحور، والمنادى[26].

ويرى أحمد المتوكل أنه توصل إلى أن النظرية الثاوية خلف مختلف العلوم اللغوية "النحو، اللغة ، البلاغة، فقه اللغة ، نظرية تداولية، وإنها بالتالي قابلة للتحاور، بمعنى القرض، والاقتراض مع النظريات التداولية الحديثة بما فيها نظرية النحو الوظيفي، ويمكن عقد حوار بين الفكر اللغوي القديم، والنحو الوظيفي، وبهذا نحقق هدفين اثنين:

أولهما: إغناء النحو الوظيفي بتحليلات ومفاهيم يستلزمها وصف الوظائف الخمس في اللغة العربية خاصة، دون أن يمس اقتراض هذه التحليلات والمفاهيم والمبادئ المنهجية المعتمدة في النحو الوظيفي.

وثانيهما: تقويم مجموعة من الأوصاف المقترحة في النحو العربي، أو البلاغة العربية بالنسبة لوظيفة "المبتدأ" ووظيفة "البدل"، والتابع بصفة أعم، وظواهر "التخصيص"، و"الحصر"، و"العناية"، و"التوكيد" وغيرها [27]. وهذا ما تشي به كتابات المتوكل في كتابيه: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، الوظائف التداولية في اللغة العربية.

و) - اللسانيات الحاسوبية: ميدان تتلاقى فيه علوم الحاسوب، وعلوم اللسان [28]، من خلال تصميم برنامج يوصِّف للحاسوب المواد اللغوية توصيفا دقيقاً يستنفذ الإشكالات اللغوية بجميع مستوياتها التحليلية: الصوتية، والنحوية، والدلالية، ومن علم الحاسبات الإلكترونية (الكومبيوتر)، ومن علم الذكاء الاصطناعي، وعلم المنطق، ثم علم الرياضيات. ويمكن الاستفادة من مقارنات الحاسوب النسبي كما يقول "مازن الوعر" في حل إشكال الاختلافات بين النسخ المختلفة للمخطوطات ولكتب التراث لتفادي التحريف والتصحيف، وإزالة الإضافات وتصفية النصوص، وتوضيح شخصية مؤلف من خلال الظروف المحيطة به، وتقديم خدمة جليلة للمصلحة التاريخية العامة [29].

وأمثلة هذه الكتابات تبرز في العناوين الآتية:

1 - الحاسوب واللغة العربية، عبد ذياب العجيلي.

2 - العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، نهاد الموسى.

3 - الذخيرة العربية: عبد الرحمن الحاج صالح.بحوث ودراسات في اللسانيات العربية .

لهذا أشاد عبد الرحمن الحاج صالح بالتقاطع المعرفي بين العلوم النظرية والتطبيقية فجاء مشروع الذخيرة قائما على أساس التعاون بين المهندسين واللغويين، وهي دعوة للّساني كي يلم بكثير من العلوم فمن لم يلم بالعلوم الحديثة والمنطق الرياضي كيف يمكن أن ينظر ويبحث في قسمة التراكيب الخاصة، ومن لم يدخل قط مخبر صوتي فكيف يجوز له أن يقول شيئاً عن أقوال الخليل؟ بل كيف يمكن لأي باحث في اللغة أن يكتشف أسرار اللغات من حيث بنيتها ومجاريها وقد يجهل الكثير من النظريات الحديثة في أحدث صورها؟ مثل اللسانيات الحاسوبية، وهندسة اللغة[30].

2 - القراءة الاستبطانية:

وإذا كانت المداخل والسياقات المعرفية اللسانية إلى هذا الحد امتازت بوضوح المقصد ، فهل فككت هذه الكتابات الخبايا المتنكرة وراء ستار العلمية الأكاديمية. وهذا ما سنعرض له في هذه القراءة حتى لا تهجر الدراسة فرضية المقاصد فتجعلها

كقراءة الكف.

أ) ـ مسألة القطيعة المعرفية اللسانية الحديثة مع الدراسات التقليدية:

إن مفاهيم اللسانيات المتطورة ليست دخيلة على التراث اللغوي العربي، لهذا أكدت هذه الكتابات أن هذا العلم الذي يطلق عليه في البلدانالأوربية والأمريكية الآن (linguistics) يعنون بذلك علم اللسان[31].وإن فكرة القطيعة هذه كما يقول المتوكل "فندتها دراسات ابستمولوجية لسانية تشومسكي 1966، وكورودا 1972 ، وسيميائية غريماس 1966، وبينت بالملموس أن اللسانيات الحديثة ليست إلا حقبة من حقب تطور فكر لغوي واحد بدأ حين بدأ الإنسان يفكر في اللغة وسيمتد امتداد التفكير في اللغة" [32].

ب) ـ رؤى قديمة لازالت تكسب نضارتها :إن ما شغل الأوائل من مسائل اللغة في القديم هو ما يشغلهم اليوم في الدرس الحديث ، وقراءة بسيطة في كتاب : الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي [33]من خلال المناظرة الشهيرة بين أبي سعيد السيرافي، ومتّي ، بحضور الوزير ابن الفرات، يجد أنها تُثمن قيمةالنحو في إبراز المعنى، وتُعلي من شأن التركيب في اللغة لأنه خصية من خصائص العقل الإنساني. لهذا أحب ابن الفرات أن يستفيض السيرافي في التفريق بين دقائق لغوية ، من مثل: زيد أفضل الإخوة. وزيد أفضلُ إخوته[34].

وحديث سيبويه عن أقسام الكلام في الكتاب، هي دعوة إلى عدم الخلط بين مفهوم الجملة الأصولية أو الجملة الفصيحة ، وبين معرفتنا بالعالم المحيط بنا، والخبرة الاجتماعية الثقافية لمجتمعنا اللغوي، وهي القضية التي استرعت اهتمام لسانيات تشومسكي في النظرية التوليدية التحويلية ، وتتضح صورتها في التركيبين الآتيين من كتاب سيبويه:

ـ قد زيداً رأيت.

ـ كي زيدٌ يأتيكـ.

فالجملتان لا تنتميان إلى جمل اللغة العربية، وذلك لأن ترتيب عناصرهما لا يخضع للترتيب الأساسي المعتمد في اللغة العربية.

وإذا قلت: نجح ابن خلدون في امتحانات البكالوريا الجزائرية لسنة 1981 .

فهذا النوع من الجمل غير مقبولة لأسباب تتعلّق بواقع الحال المعلوم من وقتنا، ولا تتعلّق بقواعد النحو.

ومن أمثلة الخلط بين مفهوم الجملة الأصولية، وبين دلالة الجملة، قولهم: الجدران تأكل الأفكار. ومعنى هذا أن العناصر الدلالية ليست كلمات، وإنما هي مفاهيم دلالية، ومن أشهر هذه الجمل الأكثر تداولا في البحث اللغوي المعاصر:الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام غاضبة. وهي جملة صحيحة من الناحية النحوية والصوتية ومع ذلك فهي بلا معنى [35].

وهذا ما أثاره سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، من مثل: حملت الجبل، وشربت ماء البحر[36] ولم يعط له اهتمام ، وبقي هذا في بطون الكتب .

وحين ذكرت هذه النماذج من جملة: الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام غاضبة، ظهرت لأول وهلة وكأنها نظرية جديدة، في الوقت الذي هي امتدادات لرؤى قديمة.

ج) - الكتابات اللسانية ومسألة الاختباء وراء علمية اللغة:

إن ما تقدّمه الكتابات اللسانية العربية الحديثة للقارئ العربي أن اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة، وهذا العلم "يتسم بسمتين اثنتين، الأولى: هي العلمية، والثانية هي الاستقلالية" [37]. و تأتي الكتابات اللسانية العربية الحديثة لتوضيح هذه المسألة التي حاول من خلالها بعضهم إقصاء النتاج التقليدي من مجال التفكير اللساني، ومنها علم اللسان العربي، وتحديده في إطار تيار البنيوية، وإطار النحو التوليدي، واعتبر أن التفكير في خصائص اللغات الطبيعية لم يأخذ الطابع العلمي إلا مع سوسير[38]. وقد ساق عبد الرحمن الحاج صالح في هذا الشأن مفاهيم علمية دقيقة كثيرة تؤكد حضور الدرس العربي، ولا نجدها إلا عند النحاة الأوائل وخاصة عند الخليل وسيبويه ولا نجدها في اللسانيات الغربية الحديثة، من مفهوم اللفظة وهي غير الكلمة وغير التركيب[39]، إلى غير ذلك من القضايا التي فنّدها في كتاباته من مثل ما نُسب إلى علماء العربية أنهم وقفوا من اللغة موقفا غير علمي إذ أنهم يدرسوها لأسباب أخرى، وكأن العلم لا يتحدّد إلا بالغاية التي يرمي إليها أصحابه في الوقت الذي نجد أن لكل حركة علمية وغيرها دوافع، فلماذا ينسب لعلماء العربية أنهم وقفوا من اللغة موقف غير علمي ، والنظريات الفيزيائية كثيرا ما ظهرت بفضل الحوافز الاجتماعية السياسية وغيرها.

وبهذا تسقط مقولة أن الدراسات اللغوية العربية لم تدرس اللغة لذاتها.

و من ملامح الاختباء في بعض الدراسات الغربية أنها حاولت أن تنقل الثارات التاريخية إلى ميدان اللغة مما يكشف "أن الغرب مريض بتاريخه الاستعماري، وما العداء اللغوي إلا صورة لذهنية الاستعلاء التي تعود في أعماقها إلى عقدة الاستنقاص الذاتي التي تتغذى بغريزة الثأر التاريخي"[40]. وهذا ما عملت الكتابات العربية على

تقويمه، ويتضح كالآتي:

1 ـ لقد حذرت هذه الكتابات "من الدور السلبي الذي كرّسه الاستعمار، ووظفه بعض المستشرقين وبعض اللسانيين العرب توظيفاً خرج به عن مقاصده العلمية الخالصة فولج به في اعتبارات أخرى مغايرة" [41].

2 ـ لقد أبعدت هذه الكتابات من صفة العلم كل تأسيس لنظرية أو رفضها على مثال واحد ، مثل التمثيل لسلوكية "بلومفيلد" التي طبقها على اللغة، والتي لا تخرج عن إيراد المثال المشهور الذي أورده، وهو المثال المعروف بـ" جاك" و "جيل"، و" التفاحة"[42].

3 ـ لقد استوفت الكتابات العربية اللسانية عملية البحث في المصطلحات حقّها، وحسمت مدلولات: لسان، لغة، لفظة ،علم اللسان، لسانيات " فما زادت عبارتهم "الدراسة العلمية للسان" على ما دلّت عليه الكلمة الأوروبية إلا فائدة الحصر والتوكيد"[43].و حتى ما روّج له اللغويون الغربيون، واعتقدوا أن هذه الأشياء هي أحدث ما حقّقه العلم في زماننا من مثل: مفهوم المقطع، ومفهوم المصوّت القصير، والمصوّت الطويل، فهي لا ترتقي إلى مستوى النظريات، فهي مجرد تصوّر ووجهة نظر. وقد أثبتت تكنولوجيا اللغة أنّ المقطع مثلا لا وجود له في الكلام العادي إلا في حالة انعزال المقاطع بعضها عن بعض في حالة الإفراد ووجوده بين وقفتين أما في داخل مدرج الكلام أي تسلسله فلا وجود له إطلاقا [44] . وقد كان للجانب الخاضع للتجربة، والملاحظة الشاهد القوي على أن "الدراسات في المعاهد العلمية من البحوث في الإشارة الصوتية ما يثبت الكثير من المفاهيم العربية الأصيلة من تلك التي لا يوجد لها مقابل في الحضارات الأخرى كالحركة والسكون وحرف المدّ. وبهذا نفوا وجود المقطع كما سبق ذكره، كما نفوا أن يكون لمفهوم "الفونيم" أي فائدة في التركيب الاصطناعي للكلام وهو من أبسط الأفكار ويريد بعضهم أن يجعلوه من أعمق ما أحدثته العلوم الحديثة[45].

4 ـ كما أثبتت بعض الكتابات اللسانية العربية أن النحو العربي في جوهره منبعه عربي أصيل، ولا يوجد ما يدعم النظرية القائلة بالتأثر المحتوم التي تنفي تماماً أصالة هذه العلوم وتجعل من كل مفهوم عربي يوجد في كتاب سيبويه مفهوما يونانياً، أو هندياً[46].

5ـ وإن أوكد التأكيدات التي جاءت في الكتابات العربية "أن أكثر العلامات الدالة على المصوتات في الألفبائية اليونانية مأخوذة من الكتابة الفنيقية، وكانت تشير في

الأصل إلى حروف حلقية لا يعرفها اليونانيون، فنطقوا بها في أول الأمر كأنها حروف مصوّتة[47] .

إلى غير ذلك من الأحكام التي تحتاج إلى تخليص الأذهان من بعض الأوهام كاعتقاد بعضهم "أن اللغات القديمة تتوفر على أكبر عدد من الأحوال التصريفية والعلامات الإعرابية، فحكموا مثلا على اللغة العربية أنه ليس لكلماتها أصل ونسوا أنهم إنما أخذوا المصطلح الأول الأصل أو الجذر من الكلمة العربية الجذر وقت اطلاعهم على ما ترجم في القرن السادس عشر من كتب النحو العربي قبل أن يطلقوا على ما يشبه ذلك في نظرية الهنود"(48).

6 ـ لقد شرحت الكتابات العربية اللسانية الاستراتيجيات التي يقوم عليها منطق أرسطو المبنية على مفهوم الاشتمال ، أي اندراج شيء تحت شيء آخر، ومفهوم الاستدلال العربي المبني على حمل شيء على شيء آخر أو إجرائه عليه، وهذا هو الاستدلال في الرياضيات. وهو الفارق بين القياسين اليوناني والعربي[49].

كما أبرزت "أن علوم اللغة دون سائر الظواهر الاجتماعية قد مثلت القاسم المشترك الأعظم بين كل الثقافات الإنسانية قديمها في الزمن وحديثها، بعيدها في المكان، وقريبها"[50]. وأن اللغة هي محرار لقياس مكانة الأمة، وحضن الظاهرة اللغوية ، إذ أنه "لا تقاس ثقة أمة بنفسها كما تقاس بمدى اعتزازها بلغتها، فالطرح الفلسفي للغة في الماضي كالطرح الحديث في علوم اللسان، كلاهما يحتضن الظاهرة اللغوية في شمولها الكامل خارج سياج الألسنة النوعية"[51].

7 ـ أسست الكتابات اللسانية العربية لبناء ذاكرة تاريخية للسانيات العربية حتى لا تبدو اللسانيات الغربية الحديثة كأنها المعيار المطلق، ويرسخ في الأذهان أن اللغويات شأنها شأن أية بضاعة تستورد، إذ أنه لا يمكن أن نعتقد أن العلم فقط هو ما يُكتب بالإنجليزية ،أو الفرنسية، بل يوجد أيضا فيما كُتب بالعربية ويُكتب. إنه ليس من المعقول في شيء أن نقوم بدراسة لغوية تحت مراقبة سلطة لغوية أخرى وأصحاب هذه الدراسات يعلنون أن دراساتهم جاءت لخدمة لغة معينة كالإنجليزية أو الفرنسية أو الجرمانية، وهذا ما أقرّ به "تشومسكي" في مقدمة كتابه البنى اللغوية. ومِثله "سوسير" في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة، وخطَّط له "كلاوس برينكر" ليجعل كتابه التحليل اللغوي، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج للدراسة الذاتية ، والدراسة الأساسية اللغوية الجرمانية[52].

نتائج الدراسة:

إن الفكر العربي ليس من سقط المتاع ، وأهميته في الترتيب مشهود لها في

الدراسات غير العربية. ومن هنا جاءت هذه الكتابات لتأصيل البحث اللساني المعاصر في الظاهرة اللغوية العربية، وهذا ما تشي به خطاب المقدّمات، كما تكشف أن ما أصبح يسمى اليوم لسانيات قد تمّ التوصل إلى جوهره في إطار دراسات لغوية موزعة بين ما كان يسمى نحوا، وصرفا، ومعجما بقطع النظر عن لفظ التسميات. ومن الإشارات الجديرة بالذكر أن العربية كانت تسمي اللسان العربي، ثم اللغة العربية، واليوم لسانيات، ولا يعني ذلك وجود اختلاف في الماهية والمرجعية للتسمية وهذا ما حسمته هذه الكتابات. أما الكتابات الغربية فهي تنطلق من محيطها، وأرضيتها؛ فهي لا تقيم وزنا للكتابات العربية ، ولا تعتبرهم شريكاً في الحوار، ومن نماذج هذه المنطلقات نجد مثلا أن الكتابات الغربية تعتبر أن لسانيات النص لم تظهر إلا مع بداية السبعينيات لأن هذا الدرس اكتملت من خلاله نقائص البنيوية التي قال عنها تشومسكي إنها عملية تصنيفية أكثر منها تفسيرية في تلك الفترة غير أن الذي يقرأ لعلماء التفسير العربي في البدايات الأولى للدرس العربي يجد أن الكثير من دراساتهم لا تكتفي بالجملة أو الآية إطارا نهائيا للتحليل، بل تجاوزت ذلك للبحث في آليات تماسك النص الكبير من خلال رصد بعض العلاقات التماسكية بين سور وآيات ترتقي إلى ما قدّمته اللسانيات المعاصرة، وفي الوقت الذي اقتصرت الدراسات الأخرى على أمثلة للتوضيح بنصوص أو فقرات نصيّة محددة ومختصرة في لسانيات النص، فإن الذين درسوا النص بمعناه الحقيقي هم علماء التفسير؛ فهم لسانيون أكْفَاء، وثقافتهم هي ثقافة النص التي تحتفي بالقول الكلي ، ولغتهم محروسة بقوانين العربية في النحو والصرف والمعجم، وقد أثبتت هذه القوانين قدرتها على رفد الكلمة في دلالتها واستقامتها وموقعها في التركيب وتداولها بالتفسير المقبول. وبهذا صححت هذه الكتابات أبجديات اللسانيات العربية المطروحة للتداول.

الهوامش والحواشي

1. حافظ علوي/ أمحمد الملاخ ، قضايا ابستمولوجية في اللسانيات،الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2009 ، ص 14 .

2. عبد السلام المسدي، فضاء التأويل، كتاب دبي 68، سبتمبر 2012، ص 41.

3. حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية، دار الكتاب الجديدة، ط1، 2009 ، ص 100.

4 . نفسه، ص 100، وما بعدها.

5. محمد محمد يونس علي ،مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004 ، ص 5 .

6. عاطف فضل محمد، مقدّمة في اللسانيات، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص 9 .

7. التوهامي الراجي، توطئة لدراسة اللغة، التعاريف، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، دار النشر المغربية ، د .ت، ص 7 .

8 . عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر تونس/ المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. 1986 ص 7 .

9. محمود السعران ،علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النهضة بيروت، د.ت. ص 6.

10. عبد الصبور شاهين ، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، ط4 ، 1984 ، ص 3 .

11. الطيب البكوش. حوار له، أسئلة اللغة وأسئلة اللسانيات ، ص 75.

12 . حافظ إسماعيلي، وليد العناتي ، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ناشرون، الرباط، ط1، 2009 ، ص 135 .

13.عبد السلام المسدي، فضاء التأويل، مرجع سابق، ص 217.

14 . محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون/ الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1. **1994**، ص 7.

15. محمد خان، لغة القرآن الكريم ، دراسة لسانية تطبيقية للجملة في سورة البقرة ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر. ط1. 2004، ص 7 .

16 . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، 2007 ، ص 207 .

17. عبد السلام المسدي، فضاء التأويل، ص 217.

18. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء القاهرة، 2000، ج1، ص14.

19. فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، **1999**، ص 12.

20. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي.

بيروت. ط1، 1991. ص ص 5 - 6 .

21. بشير إبرير، دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ، 2010 ، ص 1.

22. محمد كركبي، خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فراس الحمداني،دراسة صوتية تركيبية، دار هومة، 2003، ص ص 39 - 40.

23.عبد السلام المسدي، فضاء التأويل، ص 285 .

24. خولة الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات،دار القصبة للنشر، ط2 ، 2006 ، ص 167.

25. ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد العربية (الجملة البسيطة) ، المؤسسة الجامعية ، بيروت، 1986 ، ص ص 13 - 15.

26. أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى 1987/ الوظائف التّداولية في اللغة العربية، نشر وتوزيع دار الثقافة، الطبعة الأولى 1985، ص 7.

27. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 8 .

28. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، مرجع سابق، ص ص 230-232.

29. مازن الوعر، حوار له في كتاب أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حافظ إسماعيلي، وليد العناتي، ناشرون، 2009 ، ص 141 .

30. عبد الرحمن الحاج صالح، حوار له ، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، مرجع سابق، ص 85 .

31. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر.2007 ، ص 10.

32. أحمد المتوكل، حوار نشر له في كتاب أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 39 .

33. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة دار الكتاب العربي، بيروت، 2005 ، ص .70

34. قال أبوسعيد إذا قلت زيد أفضل إخوتِه لم يجز، وإذا قلت أفضل الإخوة جاز؛ والفصل

بينهما أن إخوة زيد هم غيرُ زيد، وزيدٌ خارج عن جملتهم. الإمتاع والمؤانسة، ص 73 .

35. جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1985، ص 184 .

36. سيبويه، الكتاب،تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3. 1988. ج1 ، ص ص 25 - 26.

37. مازن الوعر، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص ص 108 - 112 .

38. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 10 .

39. عبد الرحمن الحاج صالح، حوار له أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص ص 91 - 92 .

40 . عبد السلام المسدي، فضاء التأويل، ص 318 .

41. عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، مرجع سابق، ص16 .

42. يقولون نفترض أن "جاك" و"جيل" يسيران في طريق، وجيل تستشعر الجوع ترى جيل تفاحة على شجرة، فتحدث ضجة حنجرتها، ولسانها، وشفتيها، فيقفز جاك من على السور، ويتسلق الشجرة، ويقتطف التفاحة، ويحضرها لجيل، ويضعها في يدها. فتأكل جيل التفاحة. يقولون : إن السلوكية لا تتجاهل بعض ما نسميه بالعناصر الاجتماعية، ولكنها تعبر عنها بمصطلحات خاصة. إنها لا تتجاهل في الحقيقة شخصية المتكلم، وشخصية السامع، وبعض الظروف المحيطة بالكلام. وبهذا فهم يلتمسون العذر لنقص في التقعيد في الدراسات الحديثة، ولكنهم لا يغفرون هذا في الدراسات القديمة. محمود السعران، مقدمة للقارئ العربي، ص 305 .

43. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 21 .

44. نفسه، ص 19 .

45. نفسه ، ص 70 .

46. عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات، ص 15.

47. نفسه، ص ص 12- 13 .

48. التوهامي الراجي، توطئة لدراسة اللغة، التعاريف، ص 65 .

انظر أيضا كتاب:

100 fiches pour comprendre la linguistique. Fiche 8.(L’on considère que les notions de racine et de flexion, telles qu’on les trouve dans la grammaire européenne à partir du XVI° siècle sont d’origine arabe.)

-Gilles Siouffi – Dan Raemdonck : 100 Fiches pour comprendre la linguistique – Paris "1999.

49. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات، موفم للنشر، ص 20 .

50. عبد السلام المسدي، فضاء التأويل، ص 293.

51. نفسه، ص 293 .

52. عيسى مومني، بيبليوغرافيا اللسانيات، قراءة في أول مؤشرات المحاورة ومداخل السياقات المعرفية اللسانية، دار العلوم ، الحجار، عنابة، 2012 ، ص 185.